الحسن بن علي (رضي الله عنه)، واشتملت وصيَّته على ألف ألف دينار ونيِّفٍ مالاً صامتاً ومتاعاً وجواهر وغيرها.

السنة الحادية وأربع مئة

فيها خطب أبو المَنيع قِرْواش بن المُقَلِّد معتمدُ الدولة للحاكم بالموصل، وكان الحاكم قد استماله وبعث إليه بالأموال والهدايا، فجمع أهلَ الموصل، وأظهر طاعةَ الحاكم، فأجابوه وفي القلوب ما فيها، فأَحضرَ الخطيبَ، وخلَعَ عليه ـ يومَ الجمعة رابعَ مُحرَّم ـ قَباءً دَبيقيًّا، وعمامةً صفراءَ، وسراويلَ ديباجٍ أحمر، وخُفَّين أحمرين، وقلَّده سيفاً، وأعطاه نسخةَ ما يخطب به، وأوَّلُها: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله واللهُ أكبرُ، ولله الحمد، والحمد الله الذي انجَلتْ بنوره غمرات الغضَب، وانهدَّت بقدرتِهِ أركانُ النَّصَب، وأطلع بنوره شمس الحق من الغَرْب، الذي محا بعَدْلِه جَوْرَ الظَّلَمة، وقصمَ بقوَّته ظهرَ الغَشَمةِ[1]، فعاد الأمر إلى نصابه، والحقُّ إلى أربابه، البائنِ بذاتِه، المنفردِ بصفاتِه، الظاهرِ بآياتِه، المتوحِّدِ بدلالاتِه، لم تَفُتْهُ الأوقاتُ فتسبِقَه الأزمنة، ولم يُشبهِ الصُّورَ فتحويَه الأمكنة، ولم تَرَهُ العيونُ فتصِفَه الألسنة، سبقَ كلَّ موجودٍ وجودُه، وفاتَ كلَّ جودٍ جودُه، واستقرَّ في كل عقل توحيدُه، وقام في كل مرأًى شهيدُه، أحمدُه كما يجبُ على أوليائه الشاكرين تحميدُه، وأستعينُه على القيام بما يشاءُ ويريدُه، وأشهد له بما شِهدَ أصفياؤه وشهودُه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً لا يَشوبُها دنَسُ الشِّرك، ولا يَعتَريها[2] وهم الشكّ، خالصةً من الإدهان، قائمةً بالطاعة والإذعان، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ﷺ، اصطفاهُ واختارهُ لهدايةِ الخلقِ، وإقامةِ الحقِّ، فبلَّغ الرسالة، وهدى من الضلالة، والناس حينئذٍ عن الهدى غافلون، وعن سبيل الحقِّ ضالُّون، فأنقذهم من عبادة الأوثان، وأمرهم بطاعة الرحمن، حتى قامت حُجَجُ اللهِ وآياتُه، وتمَّتْ بالتبليغ كلماتُه، صلى الله عليه وعلى أول مستجيبٍ إليه، عليٍّ أمير المؤمنين وسيِّدِ الوصيِّين، أساسِ الفضل والرحمة، وعمادِ العلم والحكمة، وأصلِ

(١) في الأصل الوحيد (خ): العتمة، والمثبت من المنتظم ١٥/ ٧٤ ـ والكلام والخطبة فيه ـ وكذلك من النجوم الزاهرة ٤/ ٢٢٥.

(٢) في الأصل (خ): يغيرها، والمثبت من المصدرين السابقين.

الشجرةِ الكرامِ البررة، النابتةِ في الأرومةِ المقدَّسةِ المُطهَّرة، وعلى خلفائه الأغصانِ البواسقِ من تلك الشجرة، وعلى ما خلُص منها وزكا من الثمرة.

أيُّها الناس، اتَّقوا اللهَ حقَّ تُقاتِه، وارغبوا في ثوابِه، واحذروا من عقابِه، فقد تسمعون ما يُتلى عليكم من كتابِه؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١].

فالحذرَ الحذرَ، فكأن قد أفضَتْ بكم الدنيا إلى الآخرة، وقد بان أشراطُها، ولاح شَراطُها، ومناقشةُ حسابِها، والعرضُ على كتابِها، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، اركبوا سفينةَ نجاتِكم قبل أن تغرقوا، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا، وأنيبوا إليه خير الإنابة، وأجيبوا داعيَ اللهِ على باب الإجابة، قبل ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٦-٥٨] فتيقَّظوا ـ رحمكم الله ـ من الغفلة والفترة، قبل الندامة والحسرة، وتمنِّي الكرَّة والتماس الخلاص، ولاتَ حينَ مناص، وأطيعوا إمامَكم ترشُدوا، وتمسَّكوا بولاة العهود تهتدوا، فقد نصبَ اللهُ لكم عَلَماً لتهتدوا به، وسبيلاً لتقتدوا به، جعلنا الله وإيَّاكم ممَّن تبعَ مُرادَه، وجعل الإيمان زادَه، والهمَّةَ تقواه ورشادَه، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين.

ثم جلس وقام، فقال: الحمد للهِ ذي الجلالِ والإكرام، وخالِقِ الأنام، ومُقدِّرِ الأقسام، المنفردِ بحقيقة البقاء والدوام، فالقِ الإصباح، وخالقِ الأشباح، وفاطرِ الأرواح، أحمدُه أولاً وآخراً، وأستشهده باطناً وظاهراً، وأستعينُ به إلهاً قادراً، وأستنصره وليًّا ناصراً، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، شهادةَ مَنْ أقرَّ بوحدانيته إيماناً، واعترفَ بربوبيَّتِه إيقاناً، وعَلِمَ بُرهانَ ما يدعو إليه، وعَرَفَ حقيقةَ الدِّلالةِ عليه، اللهمَّ وصَلِّ على وليِّكَ الأزهر، وصديقِكَ الأكبر، عليِّ بن أبي طالب، أبي الأئمة الراشدين المهديِّين، اللهمَّ وصَلِّ على السِّبطين الطاهِرَين، الحسنِ والحُسين، وعلى الأئمةِ الأبرار، والصفوةِ الأخيار، مَنْ قامَ منهم وظهر، ومَنْ خافَ فاستتر، اللهمَّ وصَلِّ على الإمام المهديِّ بك، والذي بلَّغَ بأمرِك، وأظهر حجَّتَك، ونهض بالعدل في بلادِك، هادياً لعبادِك، اللهمَّ وصَلِّ على القائم بأمورِك، والمنصورِ بنَصْرِك، اللَّذينِ بذلا نفوسَهما في رضاك، وجاهدا عِداك،

اللهمَّ وصَلِّ على المُعزِّ لدينك، المجاهدِ في سبيلك، المُظهرِ للآيات الخفيَّة، والحُججِ الجليَّة، اللهمَّ وصَلِّ على العزيزِ بك، الذي مهَّدْتَ به البلاد، وهديتَ به العباد، اللهمَّ واجعَلْ نوامي صلواتِكَ وأزكى بركاتِكَ على سيِّدنا ومولانا إمامِ الزمان، وحصنِ الإيمان، وصاحبِ الدعوة العلوية، والمِلَّةِ النبويَّة، عبدِكَ ووليِّكَ المنصورِ أبي علي الحاكمِ بأمرِ الله أميرِ المؤمنين، كما صلَّيتَ على آبائه الراشدين، وأكرمتَ أجدادَه المهديِّين، اللهمَّ وفِّقْنا لطاعته، واجمَعْنا على كلمتِه ودعوتِه، واحشُرْنا في حزبِه وزُمرَتِه، اللهمَّ أعِنْه على ما وَلَّيتَهُ، واحفَظْه فيما استرعيتَه، وبارِكْ له فيما آتيتَه، وانصُرْ جيوشَه، و[أعلِ] [١] أعلامه في مشارق الأرض ومغاربها، إنك على كل شيء قدير.

وسبب الخطبة مراسلةُ الحاكم، وكان قِرْواش بعث إلى الحاكم أبا الحسن علي بن الحسين بن أبي الوزير كاتِبَه، وبعث إليه هدايا وألطافاً، فكتب أبو الحسن إلى قِرْواش من طريقه يقول: أقِمِ الدَّعوةَ وقد[٢] ...، فأقامها بالموصل، وانحدر إلى الأنبار، فأمر الخطيب بإقامتها، فهرب إلى دار القادر، وصار قِرْواش إلى الكوفة، فأقامها يوم الجمعة الثاني من ربيع الأول، وبعث إلى قصر ابن هُبيرة والمدائن فأقامها بها في التاسع من ربيع الأول، وخاف العلويُّون والعباسيُّون الذين بالكوفة، فجاؤوا إلى واسط وبغداد، ومضى مَنْ كان بها من الدَّيلم إلى واسط، وكشف قِرْواش القناع، وأظهر المُباينة، وأدخل يدَه في المعاملات السُّلطانيّة، وعسَفَ الناسَ[٣]، وورد على الخليفة من هذا الأمر ما أزعجَه، فراسلَ عميدَ الجيوش في تجريدِ العساكر، والنهوض لهذا الحادث وتدارُكِه، وكاتب بهاء الدولة، وبعثَ إليه أبا بكر محمد بن الطيب الأشعري رسولاً، وحمَّله في هذا المعنى قولاً طويلاً، وكان عميد الجيوش بواسط لمعاونة ابن مَزْيَد على بني دُبيس. قال القاضي أبو جعفر السِّمناني: انحدرتُ مع ابن الطيب في هذه الرسالة إلى البصرة، ومضينا في البحر إلى جُرْجان، فوصَلْنا إلى بهاء الدولة، فسلَّم القاضي الكتبَ إلى أبي الخطَّاب، وطلب الإذْنَ على بهاء الدولة، فأدخَلَنا عليه، فسلَّم عليه القاضي وخدَمَه، وبلَّغَه الرسالةَ، فقال: واللهِ إنَّ عندنا من هذا الأمر أكثرَ ممَّا عند أمير المؤمنين؛ لأنَّ

---

(١) ما بين حاصرتين من المنتظم والنجوم الزاهرة.

(٢) بعدها في الأصل الوحيد (خ) كلمتان غير واضحتين.

(٣) أي: سامَهم ظُلماً وجَوْراً.

الفسادَ علينا به أكثرُ، وقد كاتبنا أبا علي ابن أستاذ هرمز ـ يعني عميد الجيوش ـ وأنكرنا عليه فِراقَه ببغداد، وأمَرْناه بالعود إليها، ورسَمنا له بمئة ألف دينار نفقاتِ العساكر، وإنْ دعَتِ الحاجةُ إلى حضوري، فأنا أول طالعٍ على أمير المؤمنين، فدعا له القاضي وخرجنا، فحمَلَ إلينا النفقة والثياب، ووقع القاضي بقضاء عُمان والسواحل، وعُدْنا إلى بغداد، فوجدنا دعوة الحاكم قد أُزيلَتْ، وسببُه أنَّ عميدَ الجيوش عادَ إلى بغداد وجهزَ العساكر لقتال قِرْواش، وبعث إليه رسالةً يتهدَّده، فاعتذر عما كان منه، وطلب الرضا والعفو من الخليفة، فتوقَّف أولاً، ثم أجاب، فأعاد قِرواش الخطبة، وكان لمَّا بعث رسولَه إلى مصر أكرمه الحاكم وأعطاه لِقرواش مالاً، ووصل الرسولُ الرَّقة، وقُطِعَتِ الخطبةُ، فسلَّم المالَ إلى والي الرقة، وكانت في حكم الحاكم.

وقال أبو جعفر السِّمناني: حدثني أبو الحسن ابن أبي الوزير كاتبُ قِرْواش قال: بعثني قِرْواش إلى مصر، فأُنزِلْتُ أكرمَ منزل، وحُمِلَ إليَّ شيءٌ كثيرٌ، وأوصلتُ إلى الحاكم، فرأيتُه رجلاً أعْيَنَ، غليظَ الصوتِ، بعيدَ الهِمَّةِ، شديدَ الهيبةِ، فأديتُ إليه الرياسة، فقال: قد عَرَفْنا خدمةَ صاحبِكَ، وهذا أمرٌ قد افتَتَحه وساعدَه عليه جميعُ أصحاب الأطراف، مثل بدر بن حسنويه وبني مروان وغيرهم، وما منهم إلا مَنْ قد أرسلنا وكتب إلينا. وعزمتُ على العود، فبعث لصاحبي على يدي من الثياب المغربية المُذْهَبة، والفرجيات المنقَّلة، ومراكب الذهب الثقيلة، والصناعات، ما قيمتُه ثلاثون ألف دينار، وأعطاني ألف دينار لنفسي، وثلاثين قطعةً من الثياب الحسنة، وسرتُ إلى الرَّقة، فورد عليَّ كتابُ صاحبي أنه قد أزالَ الخطبة للحاكم، وأعادها إلى القادر، فخِفْتُ وخلوتُ بوالي الرقة، واستجرتُ به، وقلت له: الأمر فيه كذا وكذا، وأُريد أن تكتب كتاباً وتستأذنَ في تسليم ما معي وعودي إلى الحضرة والمُقام بها. فكتب كتاباً وقال: اكتُبْ أنت أيضاً. فكتبتُ، وجاء الجواب في أيام يسيرة يقول: أمَّا صاحِبُكَ فنحنُ نُدبِّر أمره بما يجب، وأما أنت فقد حَمِدْنا ما كان منك أولاً وأخيراً، فإنْ شِئْتَ المُقامَ بمكانِكَ أقِمْ، فقد أوصيناهم ما يعتمدون في حقِّكَ، وإن شئتَ اقصِدْ بابَنا فاعْزِمْ، وأمَّا ما ذكرتَ من تسليمه فسلِّمه إلى والي الرقة. قال: فسلَّمتُه إليه، وأقمتُ على أنني مستوطنٌ عندهم، وأقاموا إليَّ بالكفاية، ثم ما زِلْتُ أخرجُ شيئاً بعد شيء من رحلي ودوابِّي على وجه الخِفْية، ثم سِرْتُ ليلاً مع جماعةٍ من بني نُمير حتى وردتُ الموصل.

وفيها تُوفِّي أبو إسحاق إبراهيم بن مُعِزّ الدولة بن بُوَيه بمصر.

وفيها تُوفِّي [أبو] علي المحسن بن إبراهيم الصابئ.

وفيها انحدر عميدُ الجيوش إلى واسط مصعداً لأبي الهيجاء الجرجاني إلى الكوفة ليلقى الحاجَّ، وكان قد اعترض لهم بالقادسية قومٌ من العرب.

وفيها قُلِّد أبو العباس أحمد بن محمد الماوردي الحكم من دار الخلافة نيابةً عن أبي محمد ابن الأكفاني في الحكم بالحضرة، فامتنع ابنُ الأكفاني، وقال: أنا رجلٌ حنفيٌّ وهذا شافعيٌّ،وما جَرَتْ عادةُ الشافعيةِ أن يتولَّوا في العراق القضاءَ المُنصَّبَ للحنفية، وما أُريد أن يكون هذا نائبي. وخرج توقيعُ القادر بنيابة الماوردي، وقُرِئ في المواكب، فأقام ابنُ الأكفاني في داره، وامتنع من حضور الموكب، وأغلق بابَه، فكتب أبو حامد الأسفراييني يقول للخليفة: هذا قد خالفَ أمرَكَ، واعترضَ عليكَ في رأيِكَ، وخرجَ عن طاعتِكَ. فغاظ ذلك الخليفةَ، وكتب للماوردي توقيعاً بالقضاء رياسةً لا نيابةً، فكتب الأسفراييني إلى محمود بن سُبُكْتِكين بخراسان بأنَّ الخليفة ساخطٌ على الحنفيين، وأبعدَهم وأبطلَ أمْرَهم، ونقل القضاءَ إلى الشافعية، وكان محمود على رأي أبي حنيفة، فما أعجبه ذلك، وانقسم الناس ببغداد حزبين حنفية وشافعية، فكان الرضيُّ الموسوي وأبو بكر محمد بن موسى الخُوارَزمي وابن الأكفاني والحنفيُّون حزباً، والأسفرايينيُّ وابنُ حاجب النعمان والماورديُّ والشافعيُّون حزباً، ووقعت الفتن، وكتب الرضيُّ إلى فخر الملك أبي غالب وهو بسابور، وكان بهاء الدولة قد ولَّاه العراق، وكان في مجلس فخر الدولة أبو القاسم بن كج القاضي الدِّينَوري، وكان سيِّءَ الرأي في الماوردي، فقال لفخر الدولة: هذا رجلٌ استعملناه على الحكم في قريةٍ من قُرى الجبل، فخان واقتطع أموال اليتامى والأوقاف، وطلبناه فهرب، أَمَحِلَتْ بغدادُ مِنْ رجلٍ يتولى الحكم؟ فكتب فخر الملك إلى الرضي بصورة الحال، فأشاع ذلك، وبلغ الخليفةَ، فأعاد أبا محمد ابن الأكفاني إلى القضاء، وصرف الماوردي، وتبيَّن للخليفة تفاضُلُ الإسفراييني، فطرده عن دار الخلافة، وانحرف عنه، وشفع فيه فخر الملك بعد مدة إلى الخليفة، فقال: لو أمكنَّا فيه شفاعةٌ لكنتَ أولى، ولكنَّا قد لزمَتْنا أَيْمانٌ، لا فُسحةَ لنا فيها. ومات أبو حامد الإسفراييني والخليفةُ ساخطٌ عليه.

وفيها سار فخر الملك أبو غالب إلى هلال بن بدر بن حسنويه، وأخذ القلعة منه.

ذكر السبب:

كانت أم هلال من الساذنجانية، ولمَّا ولدَتْه لم يرقَّ أبوه عليه، ولا عادَ قَرُبَ أمَّه، وأخرجه معها إلى قرية على فرسخين من سابور خواست، وكان هلالٌ يزور أباه في الأيام ويخدمه، ويرجع إلى موضعه، فاشتدَّ، وكان يركب الخيلَ مع أبيه إلى الصيد، فخرج يوماً مع أبيه، فعرَضَ سَبُعٌ ـ وكان من عادة بدرٍ إذا رأى سَبُعاً أن يُمسِكَ أصحابَه عنه، ويقتُلَه بدر ـ فبادر هلالٌ فقتل السَّبُعَ، فغاظ ذلك بدراً، ونالَ منه وشتَمَه، وكان يرى أصحابَ أبيه متمكِّنين من دولته، ولهم الأموال الكثيرة، فيَغيظُه ذلك، واستوحش من أبيه ومن أبي عيسى شاذي، ثم أقطعه بدر الدامغان، وهو رسداق بعيد، وفيه عشر قُرى، ومَغَلُّها مئتا ألف درهم، وأراد إبعادَه عنه، وسَهَّلَ على هلالٍ مُقامَه بالدامغان مع انفراده بأمره وبين الدامغان وشهرزور مسافةٌ قريبة، وكان بشهرزور رجلٌ من أهلها ـ يُعرف بابن ماضي ـ قد غلب عليها وتملَّكلها، وكان قد جعل لبدر عليه في كلِّ سنةٍ مالاً وَفُوراً، فأساء هلالٌ جوارَه، ورعى زَرْعَه، وتعدَّى حدودَه، فكتب ابن ماضي إلى بدر: قد علمتَ تمسُّكي بحبلِكَ، وكوني تحت ظِلِّكَ، ولو طرقني طارقٌ ما دفعتُه إلَّا بِكَ، وقد آذاني ولدُكَ، فكتب إليه بدر: المصلحةُ مُداراةُ هلالٍ وملاطفتُه. ففعل، وقرَّر له عليه في كلِّ سنةٍ مئةَ ألف درهم، فلم يقنَعْ، وجمع ليقصده، فاستصرخَ ابنُ ماضي ببدر إلى ابنه يقول: هذه الناحية لي، وابنُ ماضي صاحبي، ولئن لم تُمسِكْ عنه وتُحسِنْ جوارَه لأسيرنَّ إليكَ بنفسي. فأجابه هلالٌ: قد حلفتُ يميناً لابُدَّ لي منه، وأن لا أرجع عنه حتى أدخل بلدَه. فقال بدر: سِرْ إليه ومعك نفرٌ يسير، وأنا آمُرُه أن يفتحَ لكَ البابَ وتدخل، فتبرَّ في يمينك. فغالطه وسار إلى ابن ماضي، فحصره، وفتح البابَ، وقتلَ ابنَ ماضي وأهلَه، واستولى على خزائنه وأسبابه، وبلغ بدراً فشقَّ عليه، وبعث في طلب ابنِه العسكرَ، وأخذ منه شهرزور وطردَه منها، فأقام مدةً يفسد على ابنه الطوائفَ ويُميلهم إليه، وأوسع عليهم، فحملوه على قتال ابنِه، فسار في الجيوش، وكانت طائفةٌ ـ يقال لها: النوربكان هي أعظم عسكره ـ قد أطمعوه في أبيه، فالتَقوا على باب الدِّيْنَوَر. وقيل: كان ذلك في ذي الحجَّة سنة أربع مئة ـ فانحاز النوربكان الذين كانوا

مع بدر إلى هلال، وبقي بدر في نفرٍ يسيرٍ من حاشيته، فضرب واحدٌ من الأكراد قوائمَ فرس بدر، فسقط، ووقعَتْ عمامتُه في الأرض، فأرسل هلالٌ بعضَ خواصِّه، فأركبَه دابَّةً، وركب خلفَه؛ لئلَّا تبدُرَ من النوربكان إليه بادرةٌ، فكان الذي ردَفه أبو العباس فرَّاشَ هلال، فجعل بدرٌ يرعد، فقال له أبو العباس: أيها الأمير، لا تخَفْ، فإنَّ هلالاً بمرأى منك، وما يكون منه إليك إلا الخدمة. فشتمه وقال: أيْ مكب[1]، كأنِّي أرعُدُ خوفاً، إنَّما أرعُدُ غيظاً. وقتل بدرٌ الفرَّاش، بعد هذا لمَّا عاد إلى أمره، وأجمع النوربكان إلى هلال، وقالوا: قد أوحشْتَ أباك، وأوحشناه، وهو مَنْ تعرفه، فإن لم تُرِحْنا وتُرِحْ نفسَكَ منه لم تأمَنْه. فقال: أعوذ بالله أن أقتل أبي، ومَنْ منكم يقتل والده حتى أقتدي به؟ قالوا: فطالِبْه بتسليم القلعة، واعتقله فيها، فقال: نعم، فأرسل إليه، فأجابه بجوابٍ يُعلِّله فيه، فدخلَتْ أمُّ هلال على بدرٍ ونالت منه، وقالت: ما زلتَ توحش هذا الغلام، وتحمله على عقوقِكَ حتى حصلتَ في هذه الحالة وقد أوحشْتَ النوربكان، وقد أجمعوا على قتْلِكَ، ولمَّا لم يجدوا عند هلالٍ رخصةً في قتلك وضعوه على طلب القلعة، فإن امتنعتَ كان ذلك من أكبر الحُجج على ابنك في قتْلِك، فإيَّاكَ إيَّاك. فقال لها: صدقتِ، ولكن أحبُّ أن تجمعي بيني وبين هلال وأُسلِّم إليه القلعة، فإنني ما جمعتُ المال إلا له، فإذا اجتمعنا توافقنا على ما أريد. فقامت إلى هلال وقالت له: هذا أبوكَ، وحقُّه عليكَ واجبٌ، وقد التمس اجتماعَه بِكَ ، ويُسلِّمُ إليك القلعة، فقام ودخل عليه، فقام بدرٌ وقبَّلَ رأسَه وعانقه، وقال: قد علمتَ أنه لا ولدَ لي سواكَ، وهذه القلعة وما فيها لك ولولدك فتسلَّمْها، وأعتزِلُ أنا في بعض الأطراف. فقال له هلال: بل أنت الأمير، والتدبير لك، وتقيم بسابور خواست، وأنا خليفتُك. فقال له: إيَّاكَ أن يسمع منك هذا أحدٌ فتُهلكني وتُهلِكَ نفسك، بل أنت الأمير المدبِّر المنفرد، وخلِّني أسكُنْ ناحيةً، وإيَّاكَ أن تفرِّط في هذا المال؛ فإنَّ هؤلاء الأكراد إنما يراعونك لأجله، فأقطِعْهم البلادَ، ودعِ المالَ ذُخراً لك. ثم أعطاه علامةً بتسليم القلعة، فتسلَّمها، وقنع بقلعة بناحية الراوندين يقال لها: أرنبة، وأعطاه من مال القلعة دنانير ودراهم وما أراد، وسار إلى أرنبة، فأقام فيها، وحصَّنها، وآمَنَ على نفسه،

(١) هكذا في النسخة الوحيدة (خ)، ولم أهتدِ لمعناها.

وشرع سرًّا في مراسلة الأطراف الذين يَلُونَ بلاده، فاشتغَلَ ابنُه هلال بقتالهم، وكاتب بهاءَ الدولة وأخبره بما جرى عليه، وكل هذا ولا يعلم هلالٌ به، فكتب إليه بهاءُ الدولة يَعِدُه بإعادته إلى موضعه، وكان بدرٌ قد استدعى عميدَ الجيوش لنصرته؛ لقُربه منه، ولم يطمع في فخر الملك؛ لأنه كان بنواحي خوزستان، بعيدَ الدار، وكان بدرٌ قد ضمن لبهاء الدولة مالَ القلعة، فكتب بهاءُ الدولة إلى عميد الجيوش أولاً أن يسير إلى نُصرة بدر، فطلب مالاً يُفرِّقه في الجند، وكان عنده شيءٌ يسيرٌ لم يقُمْ بهم، وتباطأ في المسير، ثم سار قليلاً، وجهَّز بهاءُ الدولة فخرَ الملك، وكتب إلى عميد الجيوش بالرجوعِ إلى بغداد والتشاغلِ بأمر قِرْواش، فعزَّ عليه، وكتب إلى بهاء الدولة أن يُشْرِكه مع فخر الملك، فأبى وقال: أقِمْ مكانَكَ ببغداد. فكان أول أسباب علَّةِ عميد الجيوش منعُه ممَّا أراد، فانكفأ إلى بغداد مهموماً مغموماً كئيباً، ومرض مرضتَه التي مات فيها، وكان فخرُ الملك مقيماً بشيراز، فسار منها بالعساكر نحو بدر وهو مسرور؛ كونُه لم يتوجَّه نحو بهاء الدولة؛ لأنه كان خائفاً منه، وقد تنكَّر عليه، وهَمَّ بقبضه غيرَ مرة ويمنعَهُ أبو الخطاب الحاجب، وسار فخر الملك، فنزل قريباً من سابور، وقدِمَ جماعةٌ فنزلوا على سابور خواست، وأمِنَ أهلُ البلد، واستولوا على ما فيه من الخزائن وغيرها، فجاءهم الخبر بأنَّ هلالاً فتح نهاوند، وقتل خلقاً من الدَّيلم، وأنه عائدٌ إلى سابور خواست، فأراد مَنْ كان فيه من أصحاب فخر الملك الخروج ليصل فخر الملك، ففكَّروا وقالوا: يطمَعُ فينا أهلُ البلد، ويكون هزيمةً، فأقاموا ليلتهم، وصبَّحهم فخرُ الملك، والقلعة عاصيةٌ يضرب أهلُها الدبادبَ والبوقاتِ فرحاً بفتح هلالٍ نهاوند، وفخر الملك نازلٌ في الخِيَم، ودخل الدَّيلم إلى البلد، وتفرَّقوا في الدُّور، وفيها آلات الشتاء من الفواكه اليابسة والمكسود[1] والخمور وغيرها، فاشتغلوا بالنَّهب، فبعث فخر الملك فأخرجهم من الدُّور إلى الخِيَم، وبدَّد ما كان فيها من الخمور، وفعل الاحتياط، وبينا هو على هذا إذ جيء برجلٍ معه كتابٌ من هلال إلى بعض أصحابه، عنوانُه: من نهاوند، فقال له: أين تركتَه؟ قال: بنهاوند. فتأمَّل الكتاب، وهو خطٌّ طريٌّ، فعلم أنه مصنوع، فأمر بتقريره، فلمَّا رأى العذاب اعترف

---

(١) المكسود: طعام يطبخ بالدهن واللبن، وهو حار يابس يضرُّ بالقولنج. الآداب الشرعية ٢/ ٤٢١ .

بأنه خديعةٌ من هلال، فقال له: اذهَبْ إلى هلال وقُلْ له: لستُ ممَّنْ تجوز عليه الحِيَل، وواللهِ ما أُوثِرُ أن أظفر بهذه القلعة والمملكة وأحوزُها بغير قتال، فإنه ليس عليه طلاوة، ولا له حلاوة، ولستُ كمن تعرفه فاقبَلْ على اللقاء والسِّلم. ووهب للرجل شيئاً وأطلقه، فلمَّا كان في الليل ارتفع الصياح من نواحي العسكر، وكبَسَهم هلالٌ، وجاء في تلك الساعة رسولُ بدر إلى فخر الملك يخبره بوصوله، فاستشعر، وخاف أن يكون اتَّفق هو وهلال على كبس العسكر، ثم ركب الوزير في الليل، وسبق أصحابَه إلى القنطرة فملكوها، وجاء هلال في الليل ومعه الأكراد، فقتلوا من الدَّيلم جماعةً، وأسفر الصُّبحُ، ورتَّب الوزير ميمنةً فيها خُمارتكين، وميسرةً فيها بدر، ووقف هو في القلب، فأرسل هلالٌ إلى فخر الملك يقول: ما جئتُ لأقاتِلَكَ، بل لأنزل على حُكْمِكَ. فأرسل فخرُ الملكِ إلى بدر يُعرِّفه ذلك، فقال: لا تسمع منه، فإنها خديعةٌ لتُنَفِّسَ من خناقه، ويجتمعَ إليه الأكراد، فما جاء إلَّا في قلَّة، والباقون متفرِّقون، وقد بعث مَنْ يجمعهم، ثم حمل بدر، فانهزم القوم، وأُخِذَ هلالٌ أسيراً، وجيء به إلى فخر الملك، فقبَّل الأرض بين يديه، وقال: أيها الوزير، قد ملكتَ، ومن عِظَم نعم الله عليك أن تحرس دمي ولا تُسلِمَني إلى أبي. فأعطاه يدَه على ذلك، وطلب منه تسليمَ القلعة، وكانت أمُّه فيها، فأعطاهم علامةً كاذبةً، فبعث به مع جماعةٍ من الدَّيلم إلى تحت القلعة، وأوقفوه، وجرَّد واحدٌ سيفه، وقال: واللهِ لئِنْ لم تُسلم لأضربنَّ عُنقَك. فصاحت أمُّه: أُريد خاتم الوزير على الوفاء لهلال. فأعطاها خاتمَه، وبقي عندها إلى أن قُتِلَ بدرٌ، وأُطلِقَ هلالٌ، وورَدَتْ إلى بغداد، فدفعتْه إليه، وصعِدَ الوزيرُ القلعةَ، واحتاط على الأموال، فنهبَ، ورأى شيئاً لم يَرَه، فقيل: كان فيها عشرون ألف ألف بدرة وثلاث مئة ألف ألف درهم، ومن الجواهر والأمتعة ما لا يُحَدُّ ولا يُوصَف، وبعث الوزيرُ إلى بدرٍ يقول: ادخُلِ البلدَ، وانزِلْ في دارِكَ، وتصرف. فقال: أنتَ أولى بالنزول فيها. فامتنعَ فخرُ الملك وأحضره بعد أيام، وخلعَ عليه خِلَعَ السَّلطنة، وقام له، وأجلسه إلى جنبه، وأكرمَه إكراماً عظيماً، وكتب بدرٌ إليه ورقةً يطلب منه من مال القلعة عشرةَ آلاف دينارٍ على وجه القرض؛ لِيُفَرِّقها في الحاشية، فبعث إليه بها، ولمَّا بعث بالأموالَ إلى بهاء الدولة بعث بالورقة معها، وقال: يا مولانا، اعرِفْ شُكرَ نعمةِ اللهِ

عليكَ فيما أعطاك، هذه ورقة بدر يسألني قَرْضَهُ عشرةَ آلاف دينارٍ من ماله الذي ذخره طولَ عُمُره، وشَحَحِ به على الملوك.

ودخلَ بدرٌ إلى داره، ودخل الوزير إليه مهنئاً له، فتلقَّاه بدرٌ وجلس بين يديه، ثم شرع الوزير في حمل المال إلى أَرَّجان، فنقله في عدَّة دفعات، فكان يُطرَحُ بين يدي بهاء الدولة على الأنطاع، فيسقطُ منه تراب، فجُمِعَ الترابُ وسُبِكَ، فكان نيِّفاً وخمسين ألف درهم، وكتب فخر الملك إلى عميد الجيوش: قد حصَّلتُ من مال بدرٍ كذا وكذا. وورِدَ رسولُ بهاءِ الدولة على الوزير يطلب ما بقيَ في القلعة من المال، ومعه ألفُ بغل، فقال الوزير: قد أخذنا من مال هذا الرجل ما أُخِذ، ولم يقع منه معارضةٌ، وليس بكثيرٍ أن نترُك له ما بقي. وكان سبعة آلاف بدرة، ليكون عدةً له ومعونةً على أمره، فامتنعَ الرسولُ إلَّا أن يأخذ المال، فقال: اذهَبْ إلى بدرٍ وعَرِّفه. فمضى إلى بدر وفاوضَه، فقال: واللهِ ما أعطيتُكم المال الذي جمعتُه طولَ عمري، ومن رأى أن أُعارِضَكم فيه وأستنزلَكم عن شيء منه، ولكنكم تعلمون أنِّي بإزاء عدوٍّ، وقد علموا أنَّ القلعةَ قد فرغَتْ من الأموال والذَّخائر، فَتطمَّعوا فيَّ، فإن رأيتُم أن تكون هذه الصبابةُ تحتَ ختومكم، فإن احتجتُ إليها وإلَّا فهي لكم. فرَضُوا بأن أخذوا ألفي بدرة، وتركوا الباقي.

وبرز الوزير مضاربَه نحو هَمَذان، بعد أن بعث هلالٌ إلى قلعةٍ بفارس، فاعتقله، وأقام بدرٌ في بلده.

وفيها ردَّ بهاءُ الدولة النظر بالعراق على فخر الملك، وسببه أنه لمَّا مات عميدُ الجيوش ـ وكان فخر الملك يريد هَمَذان ـ تشوَّفت نفسه إلى ولاية العراق، فوضع الدَّيلم على أن يمنعوه من المسير إلى هَمَذان، وقلعوا مضاربَه، وقالوا: قد ضجِرْنا من البَيْكار[1]، وأفنَتِ الأمراضُ والموتُ منَّا العددَ الكثير، وما نسيرُ معك. وبلغ بهاءَ الدولة، فعلم أنها مواضعةٌ، وأنه إن أنكر لا يُفيد، فأذِنَ له بالمسير إلى بغداد، فسار إلى واسط، فتلقَّوه، وضربوا القِباب، وسُرُّوا بقدومه، فأسقط عنهم الضرائبَ والمكوس، وعدل فيهم، وأحسن إليهم و وصلهم، ثم سار إلى بغداد، فتلقَّاه الناس

(١) البَيْكار: الحرب. المعجم الذهبي ص ١٨٥ .

من النعمانية ومؤيد الملك، ودخل بغداد يوم الخميس لأربعٍ خَلَوْنَ من ذي الحجَّة، واخترق الجانبَ الشرقيَّ، ونُصِبَتْ له القِباب، ونزل دارَ مُعِزِّ الدولة، وضُرِبت خيمةٌ بباب الشَّمَّاسية، وكان معه جمعٌ عظيم من الدَّيلم وغيرِهم، فأقرَّ كلَّ مَنْ كان له خدمةٌ على خدمته، وأقرَّ مؤيِّدُ الملكِ الحسينَ بنَ الحسن على النيابة، وبنى الجسور على الأنهار، ومدَّها على دِجلة والفرات، وأزال الضرائب عن الحاجِّ وما كان يؤخذ منهم، وارتفعَتْ له الأدعية، وكثُرَ الشكرُ له، وعمل يوم الغدير على ما جرت به العادة.

وفيها عَدِمت الأقواتُ بنيسابور، فأكلتِ الناسُ الكلابَ والسنانيرَ والأطفال [والصبيان]، وصار الناسُ يَثِبون على كلِّ من يرونه جسيماً [لحيماً] فيقتلونه ويأكلونه.

ولم يحجَّ في هذه السنة أحدٌ خوفاً من الأعراب.

وفيها عصى أبو الفتح الحسن بن جعفر العلوي على الحاكم، ودعا إلى نفسه، وتلقَّب بالراشد بالله[(١)].

وفيها ولَّى الحاكمُ دمشقَ لؤلؤَ بنَ عبد الله الشيرازي، ولُقِّبَ بمنتجب الدولة، فقَدِم إليها في جمادى الآخرة من الرقَّة، ثم عُزِلَ عنها [في] يوم الأضحى من هذه السنة، وولَّى أبا المطاع ذا القرنين بن حمدان، وكان يوم العيد[(٢)]، فصلّى لؤلؤٌ بالناس العيدَ، وأبو المطاع الجمعةَ، وكان لؤلؤٌ نازلاً بدار العقيقي[(٣)]، فقيَّده أبو المطاع، وحمله إلى بَعْلَبَك، وقُتِلَ بأمر الحاكم.

وفيها توفِّي

إبراهيم بن إسماعيل[(٤)]

ابن جعفر بن محمد بن علي بن محمد بن عبيد الله بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو جعفر، إمام الحرمين، المكي، القاضي،

---

(١) هذا الخبر والذي قبله في المنتظم ١٥/ ٧٧ ـ ٧٨.

(٢) في (خ): الجمعة، والمثبت من (م) و (م١) قلت: والظاهر ـ كما سيأتي ـ أنه يوم عيد وجمعة.

(٣) تحرفت في (خ) إلى: الحقيقي.

(٤) تاريخ دمشق ٦/ ٣٥١ ـ ٣٥٥، (طبعة دار الفكر). والقصة الآتية أخرجها البيهقي في شعب الإيمان (٤٠٨٥). وينظر تهذيب الكمال ٥/ ٧٤.

الخطيب، كان من السادة الأشراف، توفِّي في رمضان سنة تسع وتسعين ـ وقيل: سنة أربع مئة ـ روى عن محمد بن الحسين الآجُرّي، عن الفضل بن العباس الشِّكلي، عن عبد الباري أخي ذي النون قال: قلت لذي النون: يا أبا الفيض، لِمَ صُيِّرَ الموقفُ بعرفات والمشْعَر، ولم يُجعَلْ في الحرم؟ فقال: لأنَّ الكعبةَ بيتُ الله، والحرمَ حِجابُه، والمشعرَ بابُه، فلمَّا قصده الوافدون أوقفهم بالباب الأول يتضرَّعون، ثم أذنَ لهم بالدخول، ثم أوقفهم بالباب الثاني وهو المزدلفة، فلمَّا نظر إلى تضرُّعهم أمرهم بتقريب قُربانهم، وقضاءِ تَفَثِهم، وأن يتطهَّروا من الذنوب، فيدخلوا بيتَه على طهارة. قال: قلت: فلِمَ كَرِهَ الصيامَ في أيام التشريق؟ فقال: لأنَّ القومَ أضيافُ الله، ولا يَنبغي للضيف أن يصوم عند مُضيفه. قال: قلتُ: فما يعني التعلُّق بأستار الكعبة؟ قال: مثَلُه كَمَثلِ رجلٍ بينَه وبينَ آخرَ جنايةٌ، فهو يتعلَّق بذيله، عسى الله أن يهبَ له جنايتَه.

[وفيها تُوفِّي]

الحسين بن أبي جعفر[(١)]

أستاذ هُرْمُز، أبو علي، عميد الجيوش، ولد سنة خمسين وثلاث مئة، وكان أبوه من حُجَّاب عضد الدولة، وجعل ابنَه أبا علي برسم ابنه صَمْصام الدولة، فخدم صَمْصام الدولة وبهاء الدولة، وولَّاه العراق، فقَدِمها [وقدم عميد الجيوش بغداد في]سنة اثنتين وتسعين [وثلاث مئة]، والفتنُ قائمةٌ، والذُّعَّار يفتِكون بالناس، ففتك بهم، وقتل وصلب وغرَّق[(٢)] خلقاً كثيراً، فقامت الهيبة، ومنعَ أهلَ الكَرْخ من النِّياحة يومَ عاشوراء، وأهلَ باب البصرة من زيارة قبر مصعب بن الزبير [وقد ذكرناه[(٣)]].

وبلغ من هيبتِه أنَّه أعطى غلاماً له صينيةَ فضةٍ فيها دنانير، وقال: خُذْها على رأسك، وسِرْ من النَّجمي إلى المأصِر الأعلى، فإن اعترضك مُعترِضٌ فأَعْطِه إيَّاها، واعرِفِ المكانَ الذي أُخِذَتْ منك فيه. فجاء وقد انتصف الليل، وقال: مشيتُ البلدَ جميعَه فلم

(١) المنتظم ١٥/ ٧٨-٨٠، والكامل ٩/ ٢٢٤-٢٢٥.

(٢) في (م١) وحدها: وعلَّق. والمثبت من (خ) و (م)، هو الموافق لما في المنتظم.

(٣) عند أحداث السنة الثالثة والتسعين وثلاث مئة.

يلْقَني أحدٌ، [وعميد الجيوش هو الذي مدحه الببَّغاء الشاعر، وقد ذكرناه في ترجمته][١].

وقال الخطيب[٢]: دخل الرُّخَّجي على عميد الجيوش، ومعه سبعون مجلدةً خَزًّا، ومنديلٌ فيه دراهم كثيرة، وقال: مات عندنا نصرانيٌّ من أهل مصر، وخلَّفَ هذا، وليس له وارث. فقال عميد الجيوش: من حكم الاستظهار أن يُتركَ هذا بحاله، فإن حضر وارثٌ وإلَّا أُخِذَ. فقال الرُّخَّجي: يُحمل إلى خزانة مولانا إلى أن يتبيَّن الحالُ. قال: لا يجوزُ أن يدخل خزانة السلطان ما لم يصحَّ استحقاقُه، فلمَّا كان بعد مدة قدم أخو النصراني ومعه كتابٌ باستحقاق التركة، فقيل له: عليك بعميد الجيوش. فجاء إلى داره وهو قائم على رَوْشَنِهِ يصلِّي الفجر، فظنَّه نقيباً، فدفع إليه الكتابَ، وسأله إيصالَه إلى صاحب الخبر ليقضيَ له حاجتَه، فقال عميد الجيوش: سمعاً وطاعةً. وبعث إلى صاحب الخبر فدفع إليه التركة، فقال له النصرانيُّ: فبأيِّ شيء أخدُمُ النقيب الذي أدخل كتابي إليك؟ فقال: ويحكَ! هذا عميد الجيوش. فقال: الذي تهابُه ملوكُ الأطراف؟ قال: نعم. فقال: هذا سيد المرسلين. فدخل صاحب الخبر عليه، وقال: يا مولانا، إنَّ النصرانيَّ يقول كذا وكذا، وقد كثُر الدعاءُ ببغداد لك. فلمَّا كان بعد مدَّةٍ جاءت كتُبُ ابنِ القُمِّي والتُّجار من مصر إلى عميد الجيوش تُخبر أنَّ ذلك النصرانيَّ حضر في مجمعٍ من التُّجار، وحكى القصة، فضجَّ الناسُ بالدعاء، وقالوا: ياليتنا كنَّا في جواره وظِلِّه. ففرح عميد الجيوش، وقال: لقد أحسن المكافأة.

ذِكْرُ وفاته:

[قال هلال بن الصابئ: وفي يوم الخميس لأربعٍ خَلَوْنَ من جمادى الأولى] دخل عميد الجيوش بربرة مُصْعِداً إلى بغداد من الجبل[٣]، وقد بدأتْ به العِلَّةُ، فأقام أربعة

---

(١) عند ذكر من توفِّي سنة ثمانٍ وتسعين وثلاث مئة.

(٢) كذا في (خ)، ولم أقف عليه، ولعلها: جدي، فالخبر في المنتظم ١٥/ ٨٠ .

(٣) بعدها في (خ): في يوم الخميس لأربع خلون من جمادى الأولى. وقد أثبتت، هذه العبارة في موضعها آنفاً من (م) و(م١).

عشر يوماً، وتوفِّي في نهار الخميس لاثنتي عشرة ليلة إن بقيت منه، وكان ابن طاهر المنجم[١] قد قال لمَّا دخلَ عميدُ الجيوش بغدادَ: قد اقتضى الحُكْمُ أن يقيم ببغداد ثماني سنينَ وشهوراً، وبلغَ العميدَ فانزعج، فقيل له: لا تلتفِتْ إلى قول المنجِّم، فكان كما قال؛ أقام على ولاية العراق ثمان سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام، مات وله إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر وأيام، وتولَّى أمرَه الرَّضيُّ الموسوي، ودُفِنَ بمقابر قريش.

السنة الثانية وأربع مئة

[و] فيها في يوم عاشوراء أذِنَ فخرُ الملك[٢] لأهل الكَرْخ بالنَّوح، وتعطيلِ الأسواق، ولُبسِ المُسوح[٣]، وما جرَتْ به العادة، ونظر فخرُ الملك في إقطاعات العساكر فأمضاها، وطيَّب قلوبهم، وسار إلى أوانا ومعه العساكر الدَّيلمية والشِّيرازية والعراقية والأعراب والأكراد وغيرُهم، يريد الموصل وبني عقيل، فجاءت رسلُهم بما يريد، فرجع إلى بغداد.

ذِكْرُ المحضر الذي برز من ديوان القادر في القَدْح في أنساب المصريين، وكان منه:

يشهد ـ مَنْ أثبت اسمه ونسبه في هذا الكتاب من الأشراف والقُضاة والعلماء والعدول والأكابر والأماثل بما يعرفون من نسب الدَّيصانية الكفار نُطَفِ الشياطين، المنسوبين إلى دَيْصان بن سعيد الخُرَّمي ـ شهادةً يتقرَّبون بها إلى الله تعالى، مُعتقدين بما أوجب الله على العلماء أن يُبيِّنوه للناس ولا يكتمونَه، شهدوا جميعاً: إنَّ الناجم بمصر وهو منصور بن نزار الملقَّب بالحاكم ـ حكم اللهُ عليه بالبوار والدَّمار والخزي والنكال والاستئصال ـ ابن مَعَدّ بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد ـ لا أسعدَه الله ـ وأنَّه لمَّا صار إلى المغرب تسمَّى بعبيد الله، ولقَّب نفسه بالمهدي، ومَنْ تقدَّمه ومن سَلَفه ـ الأنجاس الأرجاس عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ـ أدعياءُ خوارجُ، لا

(١) في (م) و (م١): طاهر بن المنجم.
(٢) في (م) و (م١): فخر الدولة.
(٣) الخبر إلى هنا في المنتظم ١٥/ ٨٢.